

الفصل الأول

تاريخ الإقليم في العهد الراشدي

(١٧ - ٤٠ هـ / ٦٣٩ - ٦٦٠ م)

عهد عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٤ م) :

نجح العرب في إخضاع شبه الجزيرة العربية لسيطرتهم والاستيلاء على ممتلكات الإمبراطورية الفارسية بعد عدة معارك انتصر فيها المسلمون ، والانتصارات التي حققها المسلمون في الشام وسورية وفلسطين .

وفي الحقيقة فإن انتصارات المسلمين في معركة اليرموك ١٣ هـ / ٦٣٤ م والقادسية ١٥ هـ / ٦٣٦ م (١) ترتب عليها أن بدأ سكان إقليم جنوب القوقاز يشعرون بدبيب الفتوح الإسلامية تطرق أبوابهم فتوقعوا مصيرهم المحتوم .

وقد حاول القوقازيين تعطيل مشروع الفتح الإسلامي لبلادهم بكل ما أوتوا من قوة وإرادة ، فقدموا كل مرتخص وغال في سبيل تحقيق هذه الغاية ، وكانت البداية هي مشاركة الفرس والبيزنطيين الحرب ضد القوات الإسلامية في معركة القادسية ١٥ هـ / ٦٣٦ م حيث شارك أربعة آلاف من الأرمن مع الفرس . (٢)

واشترك الأرمن بعدد أكبر في معركة اليرموك ١٣ هـ / ٦٣٤ م ، فقد وقفوا إلى جوار بيزنطة بجيش مكون من اثني عشر ألفاً من الأرمن ، وبالرغم من ذلك فقد استطاع المسلمون أن يوقعوا الهزيمة بهذه الجموع (٣) .

(١) اليرموك والقادسية : كانتا من المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام ، وكانت اليرموك في عهد أبو بكر الصديق بقيادة خالد بن الوليد ، والقادسية كانت في عهد عمر بن الخطاب بقيادة سعد بن أبي وقاص - الخضري - تاريخ الأمم - ج١ - بيروت - دار المعرعة - ص ٧٦ - ٧٧ ، ١٩٠ .

(٢) اسدرستم : الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم ودينهم وصلاتهم بالعرب - الجزء الأول - بيروت - دار المكشوف - ١٩٥٥ م ، ص ٢٤٤ ؛ جون باجوت : الفتوحات العربية الكبرى - تعريب خيري حماد - بدون بيانات - ص ٢٩٦ .

grousset :- op. cit . P. 292 ; Philip Hitti : A history of Arab - London - 1951 - P. 152 .

(٣) Sir wiliam muir :- The caliphate - edinburgh - 1952 - P. 128 , London , grousset :- op. cit . P.296' Hitti :- A history of Arabes. P. 152' Haurt :- Histoire des Arabes tome 1 - P. 235 .

وبالرغم من هزيمة البيزنطيين وحلفائهم الأرمن في معركة اليرموك إلا أنهم لم ييأسوا ، وأعادوا الكرة من جديد ، وأعادوا تجميع صفوفهم ، ولكن بأعداد أكبر وحلفاء جدد ، فقد تجمعت القوات البيزنطية يساندها جيش من الأرمن والأعراب المتنصرين لمواجهة تقدم القوات الإسلامية المتوجهة نحو جنوب القوقاز بقيادة عياض بن غنم (١) ولكن . وكعادة الفتوحات الإسلامية في صدرها الأول . تمكن المسلمون من هزيمة هذه الجموع (٢) .

وكانت بداية الفتوح الإسلامية لمناطق جنوب القوقاز عام ١٧هـ / ٦٣٩م ، حينما قدم المغيرة بن شعبه (٣) الكوفة . وكانت مقر القوات الإسلامية المتوجهة نحة

(١) عياض بن غنم بن زهير بن شداد بن ربيعة بن هلال بن غنم ، كان شريفاً وكان على يديه فتح الجزيرة وهو أول من جاز الدرب إلى الروم ، وهو من شجعان الصحابة وغزتهم ، أسلم قبيل صلح الحديبية ، وكان يقال له زد الركب لكرمه ، سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك ، وذكر ابن الرقيات من أشرف مكة وتوفي سنة ثلاثين من الهجرة . عنه انظر

الذهبي : سير أعلام النبلاء - الجزء الثاني - الطبعة الثالثة - بيروت - مطبعة الرسالة - ١٩٨٥ م - ص ٣٥٤ ؛ ابن عبد البر :- الاستيعاب في معرفي الأصحاب : القسم الثالث - تحقيق على محمد البجاوي - القاهرة - مكتبة النهضة - ص ٢٣٤ ؛ الزيري :- نسب قریش - القاهرة - دار المعارف - ١٩٥١م - ص ٤٤٧ .

(٢) الواقدي : فتوح الشام - ج٢ - بدون بيانات - ص ١٨ - ١٩ ؛ كارل بروكلمان :- تاريخ الشعوب الإسلامية - تعريب بثينة فارس / منير بعلبكي - الطبعة الأولى - بيروت - دار العلم - ١٩٤٨ م - ص ١١٣ ؛ حسين زكي :- تاريخ الأمم الشرقية - ص ٣٦ .

(٣) وهو المغيرة بن شعبه بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف ، وأمه أسماء بنت أرقم ويكنى أبا عبد الله ويقال له مغيرة الرأي ، وأول مشاهدة الحديبية ، ولاء عمر البصرة والكوفة فعزله عثمان وولاه معاوية الكوفة - عنه انظر ابن سعد : الطبقات - ج٤ - طبعة ليدن - ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ؛ فلهوزن :- تاريخ الدولة العربية - نقلها إلى العربية محمد عبد الهادي - القاهرة - لجنة التأليف - ص ١٠٩ .

القوقاز _ والياً عليها من قبل عمر بن الخطاب ومعه كتاب إلي حذيفة بن اليمان (٤)
بالمسير إلي أذربيجان لفتحها ، فسار إليها من نهاوند (٢١ هـ - ٦٤١ م)^(١)

(٤) وهو حذيفة بن اليمان بن حسل بن جابرؤن ، وقيل ذلك لأنه أصاب دماً في قومه ، فهرب إلي المدينة وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار فأسموه اليمان ، لأنه حالف الأنصار وهو من اليمن ، روي عنه ابنه عبد الله وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وغيرهم ، وهاجر إلي النبي صلى الله عليه وسلم فخير، بين الهجرة والنصرة فاختار

النصرة ، وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم أحداً وقتل أبوه بها ، وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين لم يعلمهم أحداً غير ، وفي عهد عمر سألته أفي عمالي أحداً من المنافقين فأشار إليه أن نعم فعز له عمر كأنه عرفه ، وكان كلما مات أحد فإن شهد حذيفة الجنائز حضرهما عمر وشهداها ، وكان على يديه فتح همدان والدينور والري ، وشهد فتح الجزيرة ، وعاش في نصيبين ، وتزوج بها وكان دائماً يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الفتن والشر حتى يتجنبها ، كما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلي معسكر الكفار يوم الأحزاب ليأتيه بأخبارهم ، ولم يشهد بدرًا لأن الكفار كانوا قد أخذوا عليه موثقاً ألا يقاتلهم ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أيفاتل أم لا فقال :- بلي نفي لهم بعدهم ونستعين بالله عليهم - وعن حذيفة انظر - الذهبي :- سير أعلام النبلاء - ج٢ ص ٣٦١ ؛ الدينوري :- المعارف - ط ١ - القاهرة - المطبعة الإسلامية - ١٩٣٤م - ص ١١٤ ؛ البرهان فوزي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - ج١ - ط ٥ - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٩٨٥م - ص ١٦٩ ؛ ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ - ط ١ - الهند - ص ٢٥٠ ؛ الهروي : غريب الحديث - ج٤ - الهند - حيدر آباد - ص ١١٧ ؛ أبو نعيم :- حلية الأولياء - ج١ - بيروت - دار الفكر العربي - ص ٢٧٩ ؛ النووي : تهذيب الأسماء - ص ١١٩ ؛ خالد محمد خالد : رجال حول الرسول - القاهرة - مطبعة دار المقطم - ١٩٩٤م - ص ١٩٧ .

(١) نهاوند :- كان يقود المسلمون في هذه المعركة النعمان بن مقرن وكان أول شهيد فيها فتولى القيادة حذيفة بن اليمان وكانت تسمى فتح الفتوح - السيوطي :- تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محي الدين - ط ١ - القاهرة - مطبعة السعادة - ص ١٢٣ ؛ القلقشندي :- مآثر الإنافة - ج١ - تحقيق عبد الستار أحمد - بيروت - مطبعة عالم الكتب - ص ٩١ ؛ عطية الله :- حوليات الإسلام - القاهرة - مكتبة التراث - ص ٢٦ .

فسار بقواته حتى اقترب من مدينة عاصمتها أربيل^(٢) وبها المرزبان ، وكان قد استعد لمواجهة القوات الإسلامية ، فقام بجمع مجموعة كبيرة من المقاتلين من المدن المجاورة من الشيز والميانج وغيرها^(٣) من المدن في أذربيجان واقتتلاً قتالاً شديداً استمر أياماً وكان النصر حليف المسلمين ، ثم إن المرزبان لم يجد بداً من النزول على حكم المسلمين وجنح إلى الصلح ، فصالح حذيفة بن اليمان على جميع أذربيجان ، على أن يدفع جزية سنوية مقدارها ثمانمائة ألف درهم على أن لا يقتل من الآذريين أحداً ولا يسببه ولا يهدم بيت نار ولا يعرض لأكراد الشيشجان والبلاشجان^(١) وسبلان ولا يمنع أهل الشيز من إقامة شعائرهم الدينية والاحتفال بأعيادهم^(٢) .

(٢) أربيل :- وهي عاصمة أذربيجان وتقع شمال شرق أذربيجان وكانت قد بناها أربيل بن لنطي ونسبت إليه ثم بناها فيروز قباد - الكراني :- أخبار الدول ص ٤٢١ ؛ الحموي :- معجم - ج ١ - ص ١٨٢ - ١٨٣ ؛ القلقشندي :- صبح - ج ٥ - ص ٢٧ .

(٣) الديار بكري :- تاريخ الخميس - ج ٢ - بيروت - مؤسسة شعبان - ١٩٨٤ م - ص ٢٤٣ ومخطوط بالهيئة القومية تحت أرقام ١٠٧٩ - ١٠٧١ - ١٧٠١١٤ تاريخ - ورقة ٢٠٩ ؛ الشهابي : تاريخ الغرر - ج ١ - القاهرة - مطبعة السلام - ١٩٠٠ م - ص ٣٤ ؛ دحلان : الفتوحات الإسلامية - ج ١ - القاهرة - المطبعة الحسينية - ص ٤٢ .

- الشيز مدينة أذربيجان وكانت تتميز بوجود بيوت النار الكثيرة التي كانت لها أهمية كبيرة في أذربيجان وبها معدن الذهب والفضة كما أن الميانج بلدة في أذربيجان - انظر الكراني :- أخبار الدول وآثار الأول - ص ٤٥٨ ؛ الحموي : معجم البلدان - ج ٨ - ص ٢١٨ ؛ البغدادي :- مراصد الإطلاع - ج ٢ - ص ٣٤٤ .

(١) الشيشجان والبلاشجان :- وهما من أقاليم أرن ، وكان الفرس يسيطرون عليهما ثم استولى عليهما الخزر حتى سيطر المسلمون على الإقليم ، وكانت هذه الأقاليم قد بني فيها كسري أنوشروان عدداً من القلاع ، وكان أهمها : قلعة الكلاب وقدمه وشهبوش ، وأسكن كسري هذه القلاع قوماً من الشياشين ذوي البأس والنجدة ، وبني الحائط بين الشيشجان والخزر بالصخر والرمصاص وجعل عرضه ثلاثمائة ذراع حتى ألحقه برؤوس الجبال ، ثم قاده في البحر وجعل عليه أبواب حديد ، فكان يحرسه مائة رجل بعد أن كان يحتاج إلى خمسين ألفاً من الرجال لحراسته .

ثم لم يلبث عمر بن الخطاب أن قام بعزل حذيفة بن اليمان عن أذربيجان وولاه عتبة بن فرقد ، (٣) _ الذي كان في الجيش الفاتح لأذربيجان . فدخلها ، وضبط أمورها وجعل مركز قيادة البلاد في مدينة أربيل العاصمة (١) ، وقد ظلت أذربيجان على العهد مع المسلمين ، ولكن كانت قد انتقضت عليه بعض النواحي من أذربيجان

اليقوي :- تاريخ اليعقوبي - ج ١ - ص ١٧٨ ؛ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان - ص ٢٨٨ ؛ ابن رسته : الأعلام النفسية - ص ١٣٧ .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء - ص ١٢٣ ؛ القلقشندي :- مآثر - ج ١ ص ٩١ ؛ الشهابي :- تاريخ الغرر - ج ١ - ص ٣٤ ؛ كرايستسن :- إيران في عهد الساسانيين - ص ٤٨٧ ؛ الديوه حي : تاريخ الموصل - ط ١ - بغداد - المطبعة الوطنية - ص ٣٥ .

- سبلان جبل بأذربيجان عالي ومرتفع بالقرب من أربيل وتكاد لا تفارقه الثلوج طوال العام - انظر - الكرمانى : أخبار - ص ٤٥٨ ؛ الحموي : معجم البلدان - ج ٨ - ص ٢١٨ ؛ البغدادي : مرآة - ج ٢ - ص ٣٤٤ ؛ ابن الفقيه : مختصر البلدان - ص ٢٨٥ .

(٣) عتبة بن فرقد بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة بن أسلم السلمي ، له صحبة ورواية ، غز مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوتين ، وشهد خيبر معه ، وقالت أم عاصم زوجة عتبة بن فرقد : كنا عند عتبة ثلاث نسوة ، وإن كل واحدة منا تريد أن تكون أطيب ريحاً من صاحبتها ، وكان إذا خرج كانت له رائحة طيبة دون أن يتطيب ، فلما سألتها عن ذلك قال لها : أنه أصابه ذات مرة مرض الشري - مرض طفح جلدي - على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا ذلك إليه فأمر ، فقعد بين يديه ، فتفل في يديه الشريفة ومسح بها بطنه وظهره فزل المرض عن جسده ، وعقب الطبيب في جسده ولم يتطيب ، وكانت فتوح أذربيجان على يديه ومات بالكوفة ، عن عتبة ابن فرقد انظر

= ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب - القسم الثالث - ص ١٢٩ .

ابن سعد : الطبقات الكبرى - ج ٢ - طبعة ليدن - مطبعة بريل - ١٣٢٢ هـ - ص ١٨ ؛ العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة - ج ٤ - تحقيق على محمد البجاوي - القاهرة - دار نهضة مصر - ص ٤٣٩ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة - ج ٣ - تحقيق محمد إبراهيم البنا - محمد أحمد عاشور - القاهرة - دار الطباعة والنشر - ص ٥٦٧ .

(١) البلاذري : فتوح البلدان - ص ٣٢٣ ؛ أحمد زني دحلان : الفتوحات الإسلامية - الجزء الأول - ص ١٠٧ ؛ أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى ما بين الفتحين العربي والتركي - القاهرة - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٧٢ م - ص ٣ .

فحاربها عتبة بن فرقد ، وتغلب عليها وطلبوا الأمان فأعاد تجديد الصلح السابق معهم وأعطاهم أماناً جديدة صلحاً جديداً ، ^(٢) نص على :

- ١- أن يعطوا الأمان عن أنفسهم وشرائعهم ومثلهم ، ويسمح لهم بحرية العبادة .
- ٢- تفرض الجزية على القادر البالغ العاقل منهم ، ويعفى من ذلك الصبي والمرأة والسائل والمتعبد المتفرع للعبادة .
- ٣- على أهل أذربيجان استضافة وقري ^(٣) المسلم يومه وليلته ، من طعام أهل الكتاب وإرشاده ودلالته .

٤- تسير هذه الشروط على أهل أذربيجان ومن يقيم معهم في بلادهم . ^(٤)

وبالرغم من عقد الاتفاق سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ م ، إلا أن الآذريين . شأنهم شأن القوقازيين . كانوا دائمي التمرد والخروج علي الطاعة ، فقد عادوا للانتفاض مرة ثانية في نهاية عهد عمر بن الخطاب حيث تجمعوا وأعلنوا الثورة ، وهددوا الحاميات الإسلامية الموجودة في أذربيجان ، فتصدي لهم القائد العربي نعيم من مقرر ^(١) بحزم

^(٢) الدميري :- حياة الحيوان الكبرى - الجزء الأول - القاهرة - المكتبة التجارية الكبرى - ص ٥١ ؛ البلاذري :- فتوح لجنة البلدان ص ٣٢٣ ؛ محمد حميد الله الحيدر ابادي : مجموعة الوثائق السياسية - الجزء الرابع - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة - ص ١٤٨ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق - ص ٣ .

^(٣) القرى :- هو ما يقدم إلي الضيف من طعام وغيره - المعجم الوجيز - ج١ - ص - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ - ص ٥٠٠ .

^(٤) البلاذري : فتوح البلدان - ص ٣٢٣ ؛ الدميري : المصدر السابق - ج١ - ص ٥١ ؛ الدبش : تاريخ سورية - ج٥ - ص ١٣ ؛ دحلان :- المرجع السابق - ج١ - ص ١٠٧ ؛ الحيدر ابادي :- المرجع السابق - ج٤ - ص ١٤٨ .

^(١) نعيم بن مقرر بن عابد المرني بن كعب بن عبد ثور بن هذمة بن لاطم ، أخو النعمان بن مقرر ، وخلفه بعد مقتله في نهاوند فأخذ الراية وأعطاهما لحذيفة بن اليمان ، وكان هو وأخوه من جله الصحابة ، ابن عبد البر :- الاستيعاب - ج٣ - ص ٥٢٨ ؛ العسقلاني :- الإصابة - ج٣ - ص ٥٣٩ .

وعزم شديد ، وتمكن من تفريق هذه الجموع وإخماد ثورتها بعد هزيمتها في معركة يصفها المؤرخون بأنها كانت حامية كانت حامية الوطيس ^(٢) وكتب نعيم بانتصاره على الأذريين إلى عمر ^(٣) ، وأرسل بالأخماس إليه مع سماك بن خرشة ^(٤) . وكانت فتوح الإسلام لأرمينية سنة ١٨ هـ / ٦٤٠ م حيث شن المسلمون عدة هجمات على أرمينية بقيادة عياض بن عنم الذي حاصر مدينة دبيل ^(٥) عاصمة البلاد ، ولم يكن بها حامية تدافع عنها لأن فرق الجيش الأرمني بعد معركتي

(٢) الطبري : تاريخ الأمم - ج٤ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الخامسة - القاهرة - دار المعارف - ص ١٤٩ ؛ الواقدي : فتوح الشام - ج٢ - ص ١٧٥ ؛ البلاذري : فتوح البلدان - ص ٣٢٣ ؛ محمد رشيد رضا : الفاروق عمر بن الخطاب - الطبعة الثالثة - بيروت - مطبعة دار الطب العلمية - ١٩٨٣م - ص ٣٠٧ .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط - تحقيق أكرم العمري - الرياض - دار طبية للتوزيع ١٩٨٥م - ص ١٤٧ ؛ ابن الأثير : الكامل - ج٢ - ص ٤٣٧ ؛ الطبري : تاريخ - ج٤ - ص ١٤٩ ؛ الواقدي : فتوح الشام - ج٢ - ص ١٧٥ ؛ البلاذري : فتوح البلدان - ص ٣٢٢ ؛ محمد رشيد رضا : المرجع السابق - ص ٣٠٧ .

(٤) سماك بن خرشة : وهو غير أبي دجانة ، وكان سماك بن خرشة وسماك بن عبيد العيسي وسماك بن خرشة وليس أبي دجانة أول من ولي أرض همدان ، وقدم هؤلاء الثلاثة في وفد أهل الكوفة بالأخماس وكتبوا إليه ، فقال عمر :- اللهم بارك فيهم وانصر بهم الإسلام . عنه انظر :

الطبري :- المصدر السابق - ج٤ - ص ١٤٩ ؛ العسقلاني : الإصابة - ج٢ - ص ٧٥ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب - ج٢ - ص ٨٢ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان - ص ١٩٧ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام - ج٣ - ص ١٣٤ ؛ الحموي : معجم البلدان - ج٤ - ص ٣٥ ؛ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان - ص ٢٩٢ ؛ عماد الدين المؤيد : تقويم البلدان - ص ٣٨٧ .

- ودبيل هي عاصمة أرمينية ، وكانت مقر الحاكم العربي ، وبها دار الإمارة ، وتنطق في المصادر الغربية دوين والعربية دبيل انظر : الحموي : معجم البلدان - ج١ - ص ٢٠٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق - ج٢ - ص ٣٣٧ .

القادسية واليرموك كانت قد فرت من وجه القوات الإسلامية إلى الريف الأرمني ،
فنجح المسلمون في الاستيلاء على المدينة بسهولة كبيرة .
ولما فشل القائد الأرمني تيودور الرشتوني ^(١) في مجابهة القوات الإسلامية والتصدي
لها ، وتركها تدخل دبيل ، فحاول مباغتتهم في طريق عودتهم من دبيل إلى المقر
الرئيسي في أردبيل ، فكمن لهم في البراري والغياض وأراد أن يأخذهم علي حين غرة ،
ولكنه فشل وعاد خائباً ، بعد أن أوقعت به القوات الإسلامية الهزيمة النكراء وأجبرته
علي الفرار من أمامها ^(٢) .

ولكن الملاحظ أن المسلمين لم يكونوا يستقرون في البلدان المفتوحة في مناطق
القوقاز ، ربما لصعوبة الطقس القارص الذي يصعب عليهم التكيف معه ولكون هذه
البلاد نائية عن مستودعات الإمدادات في الكوفة والبصرة ، واكتفوا في بداية الفتوحات
بترك الحاميات العسكرية والعودة إلى مراكز التجمع في أردبيل ، مما جعل السيطرة

^(١) كانت قبيلة رشتوني مع قبيلة جمسرجان وماسيكونيان وسيوني وباجراتوني وأرزوني تتحكم
وتسيطر على أملاك البلاد فيما بينهما ، كما أنها كانت في حالة صراع مستمر على السلطة ، وقد
اختلفت أصول هذه الأسر مثل جمسرجان البيزنطية ، والبرباطيون اليهودية ، والماسيكونيان ذات
الأصول الصينية الآسيوية ، والرشتونية ذات الأصول الفارسية ، وأسرة أرزوني ذات الأصول
الآشورية ، وباختلاف أعراقهم اختلفت ميولهم السياسية للقوي المحيطة بهم ، فأسر جمسرجان كانت
تميل لبيزنطة ، وكانت ماسيكونيان والبرباطيون كانوا يميلون للفرس ، وكان الرشتونيين يميلون
للفرس ومن بعدهم للعرب ، انظر الأصبهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء - ص ٤٣ ؛ دونالد
ونير : إيران ماضيها وحاضرها - ص ٢٦ ، ٢٨ ، ٤١ ؛ P. ti :- 220 . Benjamin :- op. cit .

Hit Ahistory of Syria . P. 520.

^(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام - ج ٣ - ص ١٣٤ ؛ البلخي : البدء والتاريخ - ج ٥ - ص ١٣٢ ؛
البلاذري : فتوح البلدان - ص ١٩٧ ؛ صابر دياب : المرجع السابق - ص ١٣ - ، سيديو :
خلاصة تاريخ العرب - ترجمة على مبارك - القاهرة - مطبعة محمد مصطفى - ص ٣ ؛ دائرة
المعارف البستاني - ج ١٠ - ص ٣٠٣ . grousset :- op. cit . P. 298 .

الإسلامية علي تلك المناطق في موضع ضعف ، استغله القوقازيين في الثورة وتهديد الوجود والسيطرة الإسلامية عليها .

وكان الذي حدث أن استغل الأرمن تراجع القوات الإسلامية عن بلادهم ، وشعروا بضعف الحاميات العسكرية وقلة عددها ، فثاروا وهددوا تلك الحاميات ، مما أجبر الخلافة الإسلامية علي سرعة إرسال حملة عسكرية إليهم في عام ٢١ هـ / ٦٤٢ م ، وقاد هذه الحملة حبيب بن مسلمة (٣) وسلمان بن ربيعة الباهلي (١) .

(٣) حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائل بن محارب بن فهر بن مالك الفهري ، يقال له حبيب الروم لكثرة دخوله إليهم ، له صحبة ، وقيل إنه مستجاب الدعوة ، وحينما حوصر عثمان بعثة معاوية بن أبي سفيان إليه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ١٢ عام ، ولم يغز مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة واحدة عنه انظر - ابن الأثير : - أسد الغابة - ج١ - ص ٤٩ ؛ الزيري : نسب قريش - ص ٤٤٨ ؛ المودودي : - الخلافة والمك - تعريب أحمد إدريس - الكويت - الطبعة الأولى - مطبعة دار القلم - ١٩٧٨ م - ص ٥٨ .

(١) سلمان بن ربيعة بن يزيد بن ثعلبة بنم قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقيل له صحبه ، وشهد فتوح الشام مع أبي أمامة الباهلي ، استقضاه عمر على قضاء الكوفة فظل أربعين يوماً لا يختصم إليه أحد ، وكان يل لعمر الخيل ولذلك سمي سلمان الخيل ، وكان عمر أعد في كل مصر خيلاً كثيفة بها ، وكان يتولى خيول الكوفة ، وغز أذربيجان وبلنجر وأرن والخرز وقتل ببلنجر عام ٢٨ هـ / ٦٤٨ م ، روي عنه عدي بن عدي الضبي بن معبد وأبي وائل شقيق أبي سلمة وكان ثقة قليل الحديث . عنه انظر :

ابن الأثير : أسد الغابة - ج٢ - ص ٤١٥ ؛ النووي : تهذيب الأسماء - ص ٢٩٤ ؛ القرطبي : التعريف في الأنساب والتتوية لذوي الأحساب - تحقيق سعيد عبد المقصود - القاهرة - دار الفنار - ص ٩٤ ؛ السيوطي : الوسائل في معرفة الأوائل - تحقيق إبراهيم العدوى - القاهرة - مكتبة خانجي - ص ١٠٨ ؛ السمعاني : الأنساب - ج٢ - ص ٦٧ ؛ العسقلاني : تقريب التهذيب - بدون بيانات - ص ١٠٨ ؛ عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب - الجزء الأول - دمشق - المكتبة الهاشمية - ١٩٤٩ م / ١٣٦٨ هـ - ص ٦٠ .

ووجد الجيش الإسلامي في هذه الحملة مقاومة شديدة من جانب الأرمن ^(٢) بعد أن قوي ضلعهم بالمساعدات التي قدمتها لهم بيزنطة ، فأعادوا تنظيم صفوفهم ، وجمعوا شتات أمرهم غير أن دوافع الدولة الإسلامية كانت أقوى في تنفيذ خطتها القاضية بفتح أرمينية ، وإحكام السيطرة عليها ، وفي ١٧ رمضان ٢٢ هـ / ١٠ أغسطس ٦٤٢ م نجح سلمان بن ربيعة وحبيب بن مسلمة من إيقاع الهزيمة بجموع الأرمن وحلفائهم وأجبروهم علي الفرار إلي المزارع والأحراش ^(٣) .

ويرجع أول اتصال للدولة الإسلامية بأران في أواخر عهد عمر بن الخطاب وبالتحديد في سنة ٢٢ هـ /

٦٤٢ م حينما كلف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كلا من سراقه بن عمرو ^(١) وعبد الرحمن بن ربيعة ^(٢) بالمسير إلي شمال القوقاز وتحديدًا إلي مدينة باب

(٢) الواقدي : فتوح الشام - ج٢ - ص ١٧٥ - ١٧٦ ؛ السمعاني : المصدر السابق - ج٢ - ص ٦٧ ؛ المؤدوي : المرجع السابق - ص ٨٥ ؛ مروان المدور :- المرجع السابق - ص ١٩٧ .
(٣) البلاذري : فتوح البلدان - ص ٢٣٤ ؛ تاريخ طائفة الأرمن - بدون بيانات - ص ١٦٤ ؛ أنطون خانجي - تاريخ طائفة الأرمن :- أورشليم القدس - دير الأبباء الفرنسيسكان - ص ٨ .
grousset : op. cit. P. 299 .

(١) سراقه بن عمرو ولقبه ذا النور ، وذكر المؤرخون من الصحابة ولم ينسبوه ، وكان أحد الأمراء بالفتوح وكانوا لا يأمرؤن غير الصحابة ، ومات في أرمينية ، وكان عمر أقر، على اتفاقه ولما مات استخلف عبد الرحمن بن ربيعة فأقر عمر بن الخطاب استخلافه . عنه انظر . العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة - ج٣ - ص ٤١ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة - ج٢ - ص ٣٣٠ .

(٢) عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلي ، وكان يلقب هو الآخر ذا النور ، ولاه عمر قضاء الجيش الذي وجهه إلي القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص ، وعهد إليهم تقسيم الغنائم ثم ولاه الباب وقتال الترك والخزر ، واستمر في ولايته هذه إلي أن استشهد في بعض وقائعه - انظر .

القرطبي : التعريف في الأنساب لذوي الأحساب - ص ٩٤ ؛ الزركلي : الأعلام - ج٢ - ص ٩٣ ؛

الأبواب المعروفة بالدريند ، (٣) وأمدده عمر بن الخطاب بحبيب بن مسلمة عامله على الجزيرة ، وعلي ما يبدو أن زعيم هذه المدينة كان عاقلاً رأى أن المسلمين لا يقف في وجههم أحد ورأي ماجري لجيرانه من المدن والبلدان فاعتبر بغيره ، ولم يشأ أن يكون عبءاً لغيره ، فطلب ملك أران من عبد الرحمن بن ربيعة أن يأتيه والإلتقاء معه للحديث والمشاورة ، فلما أتاه عبر له عما يكنه من سخط وكراهية للأرمن الذين كانوا يقيمون حول بلاده ، وأعلن عن نياته الطيبة تجاه المسلمين وطلب عقد الصلح مع المسلمين ، علي أن يعطوه بعض المميزات عن غيره ، وكانت هذه شروطه :

- ١ - أعطاهم المسلمون الأمان على أنفسهم وبيعهم وأموالهم وأنفسهم وديانتهم
- ٢ - أعفى عبد الرحمن أهل أران من الجزية بناء على طلب ملكهم لأنه كان يري فيها مهانة أمام السكان الأرمن أعداءه . وتمييزاً له عن غيره .
- ٣ - أن يقدم أهل أران يد المساعدة للمسلمين في حروبهم ضد أعدائهم ويستجيبوا لكل أمر يراه الوالي المسلم صالحاً .
- ٤ - على أهل أران استضافة المسلم يوماً وليلة وإطعامه من طعام أهل الكتاب .
- ٥ - يسري هذا الاتفاق على السكان الأصليين من أران ومن أقام معهم من الأرمن (١) .

وبعد أن استقر المسلمون في أران وصفا لهم الأمر أخذ سراقه بن عمرو يرسل الحملات إلي مناطق شمال القوقاز من أجل الفتح أو الاستطلاع ، فوجه حبيب بن

(٣) باب الأبواب : وهي إحدى نواحي أران شمالها الشرقي على بحر الخزر وفي وسطها مرسى للسفن وكانت مساحتها ميلين في ميلين وكانت قد بناها كسري أنوشروان - عنها انظر - الحموي :- معجم البلدان - ج٢ - ص ٩ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق - ج٢ - ص ٣٣٩ ؛ الكرماني : أخبار الدول - ص ٤٣٥ ؛ البغدادى : مرصد الإطلاع - ج١ - ص ٥٥ .

(١) الطبري : المصدر السابق - ج٤ - ص ١٥٧ ؛ ابن سلام :- المصدر السابق - ج٢ - ص ٢٠٨ ؛ جوناثون : تاريخ القوقاز - ص ٣٤ ؛ فايز اسكندر : الفتوحات الإسلامية الأرمينية - ص ٤٢ .

مسلمة إلى مدينة تفليس^(٢) وبكير بن عبد الله إلى مدينة موقان^(٣) ، وحذيفة بن أسيد إلى مناطق جبال اللان^(٤) ، وسلمان بن ربيعة إلى شمال أران^(٥) ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن ، فقد توفي سراقه بن عمرو فتعطل المشروع بأكمله ، وبالرغم من أن عمر قد استخلف مكانه عبد الرحمن بن ربيعة على شمال القوقاز^(٦) من أجل إنجاز ما كان قد بدأه سراقه بن عمرو ، إلا أن هذه الحملات لم تحقق شيئاً إلا ماكان من نجاح بكير بن عبد الله من فتح موقان وعقد معهم صلحاً واتفاقاً في ٢١ هـ / ٦٤١م نص على :

١- أن يعطي أهل موقان الأمان على أنفسهم وشرائعهم ومثلهم وأموالهم .

(٢) تفليس وهي مدينة بنوحي أران تقع على أحد فروع نهر المر بالقرب من بلاد الكرج ؛ اليعقوبي - البلدان - ص ٣٦٣ ؛ الكرمانى : أخبار - ص ٤٤١ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق - ج ٢ - ص ٣٤٠ .

(٣) موقان مدينة ما بين أريجان وأران تقع على مقربة من بحر الخزر ونهر الرس - أظر - الحموي - معجم البلدان - ج ٨ - ص ١٩٨ ؛ لي استرنج :- المرجع السابق - ص ٢٠٩ .

(٤) اللان : تقع شمال تفليس وهي مناطق واسعة تتاخم جبال القوقاس وهي تتكون من عدة ممالك . انظر الحموي : معجم - ج ١ - ص ٣٢٤ ؛ البغدادى : مرآصد - ج ٣ - ص ٤٤ ؛ ابن الورى : خريدة العجائب - ص ٨٢ .

(٥) الطبري :- المصدر السابق - ج ٤ - ص ٤١ ؛ ابن سلام : المصدر السابق - ج ٢ - ص ٢١٠ ؛ الحيدري : المرجع السابق - ج ٤ - ص ٢٦١ .

(٦) العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة - ج ٣ - ص ٤١ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة - ج ٢ - ص ٣٠ ؛ القرطبي : التنوية - ص ٩٤ ؛ الزركلي : الأعلام - ج ٢ - ص ٤٩٣ .

- وأران تشترك بحدودها الجنوبية مع أذربيجان من الشرق وأرمينية من الغرب ، ويحيط بها شرقاً بحر قزوين وبلاد الخزر ، ومن الغرب البحر الأسود وبيزنطة ، وشمالاً فيجاور اللان والأبخار وبلاد الصقالية .

انظر ابن الورى : خريدة - ص ٧٩ ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان - ص ٣٨٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى - ج ٥ - ص ٣ ؛ لي استرنج : المرجع السابق - ص ٢١١ .

٢- أن تفرض عليهم الجزية ديناراً على كل حالم قادر بالغ ، ومن لم يستطع نقداً دفع ما قيمته .

٣- دلالة ونصح المسلم واستضافته يوماً وليلة .

٤- إذا نقض أهل موقان هذا العهد فلا أمان لهم عند المسلمين .

٥- إذا هرب إلي أهل موقان بعض أعداء الدولة الإسلامية فعليهم أن يسلموهم إلي قادة المسلمين وإلا فهم متمائمون معهم ^(١) .

وبعد أن أقر عمر بن الخطاب استخلاف عبد الرحمن بن ربيعة على شمال القوقاز - الباب (الدربند) . ^(٢) أمده بجيش كبير ، وأمره بفتح ماتبقي من شمال القوقاز وتحديد غزو بلاد الخزر ، فأمتثل عبد الرحمن لأمر عمر وخرج بجموع جيشه قاصداً بلاد الخزر ، وقابل في الطريق حاكم أران الذي أسدي إلي عبد الرحمن نصيحة عن شدة وبأس هؤلاء الخزر في القتال ، ^(٣) وقال له : إنا لنرضي منهم دون هذا الباب - وهي دلالة على مدي خوف سكان الإقليم من هؤلاء الخزر) - فرد عليه عبد الرحمن في عزة وأنفة : تا الله إن معنا أقواماً لو يأذن لهم أميرنا لبلغنا بهم الروم في ديارهم ، فقال له :- ومن هم قال : قم قوم صحبوا رسول الله صلي الله عليه وسلم ، دخلوا هذا الدين بنية ، وكانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية ، فازداد حياؤهم وتكرمهم ، فلا يزال دائماً النصر والأمر لهم حتى يغيرهم من يغلبهم حتى يلفتوا عن حالهم " !

^(١) الطبري : المصدر السابق - ج٤ - ص ١٥٧ ؛ ابن سلام : المصدر السابق - ج٢ - ص ٢١٠ ؛ جوناثوفه : المرجع السابق - ص ٣٤ ؛ الحيدرابادي : المرجع السابق - ج٤ - ص ٢٦١ .

^(٢) القرطبي . التعريف - ص ٩٤ ؛ العسقلاني : الإصابة - ج٢ - ص ٣٣٠ ؛ أبو الحسن الصابئ : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء - تحقيق عبد الستار أحمد فرج - القاهرة - دار إحياء الكتب العربية - ص ٢٣٩ ؛ الزركلي :- الأعلام - ج٢ - ص ٤٩٣ .

^(٣) الطبري : المصدر السابق - ج٤ - ص ١٨٥ ؛ ابن عساكر :- تاريخ دمشق - المجلد الأول - دمشق - المجمع العلمي - ص ١٧٨ ؛ أبو الحسن الصابئ : تحفة الأمراء - ص ٢٣٩ .

ولم يأبه عبد الرحمن للخوف الذي أبداه هذا الحاكم وتقدم بقواته باتجاه الخزر ،
ونالهم في عدة معارك خرج منها جميعاً منتصراً ، وتوغل في بلادهم ، واستولي علي
عدد كبير من مدنهم الرئيسية ، وساقهم أمامه ، حتى وصلت خيوله مدينة البيضاء
(٤) .

وقد أظهر المسلمون في تلك المعارك شجاعة شديدة وبلغ من شدة بأس المسلمين
في هذه المعارك أن قد سري الرعب في نفوس الخزر حتى شارع بينهم أن المسلمين لا
يموتون ، ولا سبيل للأسلحة معهم ، وما تجرأوا عليهم إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من
الموت ، ولكن لم يستثمر المسلمون تلك الفتوحات بإقامة قواعد متقدمة في بلاد الخزر
وسرعان ما عاد عبد الرحمن إلي جنوب القوقاز وإلي قواعد الدائمة في أذربيل مكتفياً
بما حققه من إنتصارات علي الخزر . (١)

(٤) الطبري : المصدر السابق - ج٤ - ص ١٥٨ ؛ الصابئ - المصدر السابق - ص ٢٣٩ ؛ ابن
عساكر : تاريخ دمشق - ص ١٨ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر - ج٢ - ص ٥٧ ؛
الهامي : التوقيفات الإلهامية بمقارنة التواريخ الهجرية - ط١ - القاهرة - المطبعة الأميرية - ص
١١ ؛ دحلان : المرجع السابق - ج١ - ص ١٠٨ ؛ محمد رشيد رضا : المرجع السابق - ص
٣١٢ .

- البلنجر والبيضا وترغو : أشهر مدن الخزر وبلنجر هي عاصمة بلادهم وأكبر مدنها وكانت البلنجر
تدعي إتل عنها انظر : اليعقوبي : تاريخ - ج١ - ص ١٧٨ ؛ الحموي : معجم البلدان - ج٢ -
ص ١٢ ؛ ابن النديم : الفهرست - ص ١٩ ؛ البكري الأندلسي : معجم ما استعجم من أسماء البلاد
والمواضع - ج١ .

(١) ابن الأثير : الكامل - ج٢ - ص ٤٣١ ؛ ابن العبري :- تاريخ ابن العبري - ص ٥٧ ؛ ابن
الورني : تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الورني) تحقيق أحمد رفعت البدرائي ج٦ -
ط١ - بيروت - دار المعرفة - ص ٢٢٦ ؛ دحلان : المرجع السابق - ج١ - ص ١٠٨ ؛ محمد
رشيد رضا : المرجع السابق - ص ٤١٢ ؛ الخصري : المرجع السابق - ج١ - ص ٣٢٦ ؛ رفيق
العظم : أشهر مشاهير الإسلام - ط٢ - القاهرة - دار الفكر العربي - ص ٦٦٤ ؛ عبد الوهاب
النجار : تاريخ الإسلام - القاهرة - المطبعة السلفية - ١٣٤٨ هـ - ص ١٩٧ .

وعلى ما يبدو أن حملات المسلمين على مناطق الجبال في أذربيجان لم تكن فتحاً منظماً بالمعنى الكامل ، إذ أن هذه القوات ما لبثت أن عادت إلى مراكزها الرئيسية في أذربيل ، بعد أن ارتضوا من حكام هذه المناطق بالجزية والاعتراف بسيادتهم على هذه المناطق ، ولم تتعد هذه الحملات كونها مجرد حملات استطلاعية لاستكشاف المنطقة ودراسة جغرافيتها تمهيداً لإعادة فتحها فتحاً منظماً في مراحل لاحقة ، ونقادة المسلمين كامل الحق في هذا الأمر إذ أن معلوماتهم عن هذه المناطق تعتبر شبه معدومة لتتأني أطرافها وطبيعتها الجبلية الوعرة ، وصعوبة تأقلم المسلمين مع مناخها القارص البرودة ، وهذه أسباب تشكل عائقاً أمام استقرار ومرابطة القوات الإسلامية على الأقل في هذه المرحلة المبكرة .

(ب) عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣ - ٣٥ هـ / ٦٤٤ - ٦٥٦ م)
وفي عهد عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥ هـ / ٦٤٤ - ٦٥٦ م) حدث تغير كبير في الخريطة السياسية والعسكرية للدولة الإسلامية ، طال هذا التغير مناطق القوقاز ، إذ تم تعيين الوليد بن عقبة بن أبي معيط
(١) والياً على الكوفة ، واستتاب بدوره على القوقاز الأشعث بن قيس الكندي (٢) .

(١) الوليد بن عقبة : أخو عثمان بن عفان لأمه اسلم يوم فتح مكة ، تولى لأبي بكر صدقات بني المصطلق وكتابه الرسائل الحربية ، ولعمر صدقات تغلب وقيادة بعض الفرق العسكرية . وللمزيد انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص ٢٤ ؛ ابن نباته ، سرح العيون ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط بيروت ، ص ٢٤٩ ؛ ابن عبد ربه ، تاريخ الخلفاء ، ط بيروت ، ص ١٠٨ ، البلخي ، مناقب الإمام على والحسن والحسين ، ط الهند ، ١٢٩٠ هـ ، ص ٣٣ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية ، ط القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٧٧ .

(٢) الأشعث بن قيس : أسلم سنة ١٠ هـ / ٦٣١ م ، وكان ممن ارتد ، ثم عاد إلى الإسلام ، شهد اليرموك والقادسية ، وجولاء ونهاوند ، للمزيد انظر : ابن سعد ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢٢ ؛ الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج٢ ، ط بيروت ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٨٩ ؛ ابن سلام ، الأموال ،

وفي مستهل عهد عثمان بن عفان وفي ٢٤ - ٢٥ هـ / ٦٤٥ م اضطرت الخلافة الإسلامية التعامل بحزم مع مناطق القوقاز بعدما تكررت حالات الثورة والعصيان علي طاعة الدولة الإسلامية ، فزحفت قوات المسلمين على جنوب القوقاز وتحديدا إلى أرمينية ، حيث عبرت نهر الرس ناقلين الحرب إلي قلب أرمينية بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي ، الذي انتقل إليها بقواته من أذربيجان ، وكان عدد هذه الحملة كبيرا يعكس مدي اهتمام الدولة الإسلامية بالإقليم فبلغ عدد الجيش اثني عشر ألفاً من المقاتلة ، (٢) وسار في أرمينية وخاض عدة معارك مع سكانها خرج منها منتصراً ، (٣) ثم لم يلبث أن عاد إلي الكوفة بعد أن حقق مبتغاه وهو إخماد ثورة الأرمن .

ودليلاً علي أن السياسة المتبعة مع سكان القوقاز لم تكن المثلي ، فلم يلبث الأرمن أن ثاروا علي الدولة الإسلامية رافعين راية العصيان في عدد من مدن أرمينية بعد عودة القوات الإسلامية إلي أربيل ، وظهر جلياً دور بيزنطة المحرض والمدعم علي ذلك العصيان ، فاضطر الخليفة عثمان بن عفان أن يرسل إلي معاوية بن أبي سفيان عامله علي الشام أن يرسل حبيب بن مسلمة في جمع من أهل الشام غازياً إلي

تحقيق محمد خليل ، ط القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ص ٧٠ ؛ ابن عزم ، دستور الإعلام بمعارف الأعلام ، ج ١ ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية برقم ١٩٤٢ / ب تاريخ ، ورقة ٤ .

(٢) الطبري : المرجع السابق - ج ٤ - ص ٢٤٦ ؛ البلاذري : فتوح البلدان - ص ١٣٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية - القاهرة - مؤسسة الثقافة - ص ٢٤٣ ؛ فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين - ص ١٨ .

(٣) الطبري : المصدر السابق - ج ٤ - ص ٢٤٦ ؛ البلاذري : فتوح البلدان - ص ١٣٨ ؛ فايز نجيب : أرمينية بين البيزنطيين - ص ١٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية - ص ٢٤٣ .

أرمينية^(١) فأتى حبيب أرمينية وبدأ بمدينة قاليقلا^(٢) حيث حاصرها وضيق عليها الخناق فطلب أهلها الصلح على الجزية والأمان أو الجلاء ، وجلا كثير منهم من المدينة ولحقوا ببلاد بيزنطة ، وأقام حبيب في هذه المدينة شهراً^(٣) .

وكان عقبه بن أبي معيط قد تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . عنه انظر :
الذهبي : سير أعلام النبلاء - ج ٣ - ص ٤١٢ ؛ القرشي : معالم القرية - كمبرج - مطبعة
الصفوة ١٩٣٧م - ص ٣٤ ؛ الأندلسي : أخبار الخلفاء - ج ١ - القاهرة - المطبعة الأزهرية - ص
٤٠ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف - ج ٥ - ص ٢٩ ؛ الدينوري :- المعارف - ص ١٣٩ ؛ العربي :
العواصم من القواصم - الرياض - المطبعة السلفية - ص ٨٥ ؛ البلخي : مناقب الإمام على - ص
٣٣ ؛ البغدادي : المحبر - حيدرآباد :- دار المعرفة - ص ١٢٦ ؛ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم
- ج ٤ - القاهرة - مطبعة مصر - ص ٢٠٩ ؛ ابن هشام : السيرة النبوية - ج ١ - تحقيق محمد
فهمي - القاهرة - المكتبة التوفيقية - ص ٢٣٣ ؛ الدينوري :- الإمامة والسياسة - ج ١ - ص ٣٠ ؛
ترتون : أهل النمة في الإسلام - ص ٣٨ .

الخطيئة : الشاعر هو جروول أويس بن مالك العبسي ، والخطيئة هو لقب لقربه من الأرض وقصر ،
وقيل أنه حزن يوماً فسل عن هذا فقال إنما أخطأت خطيئة ، وكان أكبر الشعراء المخضربين والغالب
على شعر، الهجاء ، ووصف بأنه دنئ النفس مملقاً ، قدم المدينة أيام عمر بن الخطاب الذي جلده
لهجائه الزبرقان . عن الخطيئة انظر : الإشبيلية :- المستطرف في كل فن مستظرف - ج ١ -
بيروت - دار الكتب العلمية - ص ٦٨ ؛ الكتبي : فوات الوفيات - ج ١ - القاهرة - مطبعة السعادة
- ص ١٩٢ ؛ ابن نباته : سرح العيون - بدون بيانات - ص ١٥٥ ؛ المبرن :- الكامل في الأدب -
القاهرة - مكتبة القدس - ص ٩١ ؛ ابن السكيت :- ديوان الخطيئة - تحقيق نعمان طه - الطبعة
الأولى - القاهرة - مكتبة خانجي - ص ٣ .

(١) البلاذري : فتوح البلدان - ص ٣٠٢ ؛ فايز اسكندر : غزو الإمبراطورية البيزنطية الأرمينية -
ص ٦ ؛ لي استاريجيان : تاريخ الأمة الأرمينية - ص ١٦٤ .

(٢) قاليقلا : وهي مدينة كبيرة بأرمينية وكانت بنتها ملكة تدعي قالي ، وقاليقلا تعني إحسان قالي ثم
عربت قاليقلا عنها . انظر :- الحموي : معجم البلدان - ج ٧ - ص ١٧ ؛ اليعقوبي - ج ١ - ص
١٧٨ ؛ أمين واصف : الفهرست معجم الخريطة التاريخية - ص ٥٢ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان - ص ٣٠٢ ؛ فايز نجيب :- الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج - ص ٤٤ ؛
مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ - ص ١٩٩ .

ثم انتقل حبيب بن مسلمة إلى أخلاط^(١) ثم إلى مدينة تفليس ، وافتتح عدة حصون إلى جوارها ، وعقد لهم صلحاً نص على :

١- أن يعطوا الأمان على أنفسهم ومثلهم وشرائعهم وأموالهم .

٢- الاعتراف بالسيادة الإسلامية على تفليس .

٣- فرض الجزية على كل بيت دينار ، على أن لا يجمع أهل تفليس ما بين البيوتات استقلالاً للجزية ولا يفرق المسلمون بينها استكثاراً لها .

٤- أن يقدم أهل تفليس والمناطق المجاورة لها يد المساعدة للمسلمين في حروبهم ضد أعدائهم .

٥- عليهم إرشاد ودلالة المسلم الضال وقرية يوماً وليلة وإطعامه من طعام أهل الكتاب .

٦- إذا غلب المسلمون ولم يستطيعوا الدفاع عنهم توضع الجزية^(٢) .

وكان علي الدولة الإسلامية أن تجني ثمار سياستها الخاطئة في جنوب القوقاز ، فعدم وجود فعلي وقوي للمسلمين في هذه المنطقة دفع الخزر وبيزنطة أن يدلوا بدلوهما في إذكاء روح العصيان والثورة في القوقاز ، فقد اضطرت الظروف حبيب بن مسلمة أن يتوجه علي وجه السرعة إلى بحيرة أرجيش^(٣) ، حيث كانت قد تجمعت جيوش بيزنطة

(١) أخلاط . وهي إحدى مدن أرمينية تقع بالقرب من بحيرة وان (أرجيش) وبينها وبين قاليقلا .

انظر : الكرمانلي :- أخبار الدول - ص ٤٤٨ ؛ الحموي : معجم - ج ٧ - ص ١٧ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان - ص ٢٠٤ ؛ الحيدرابادي : المرجع السابق - ج ٤ - ص ٢٦٠ ؛ لي

استاجيان : تاريخ الأمة الأرمينية - ص ١٦٤ ؛ مروان المدور : المرجع السابق - ص ١٩٩ ؛

اسكندر :- الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج - ص ٤٤ .

Issavardin. Op. cit . P. 189 .

(٣) بحيرة أرجيش : وتعرف أيضاً ببحيرة الطرخ نسبة إلى سمك الطرخ الذي يستخرج منها بكثرة حتى يكاد يمك بالأيدي في موسمه ، وهذه البحيرة تقع جنوب الإقليم في أرمينية ويحيط بها عدد من المدن المشهورة - النويري : نهاية الأرب - ج ١ - ص ٢٥٠ ؛ الحموي - معجم البلدان - ج ١ - ص ١٨٨ ؛ أبو الفداء :- تقويم البلدان - ص ٣٩١ ؛ البغداد : مرصد الإطلاع - ج ١ - ص

تساندها جيوش من الخزر^(٤) وبعد كر وفر ومعارك متوالية استطاع حبيب بن مسلمة وجيشه أن يوقع الهزيمة النكراء بهذه الجموع^(٥) وكان علي الدولة الإسلامية أن تؤمن وجودها في جنوب القوقاز بإجراء عملية مسح شاملة لمناطق جبال القوقاز فأرسل حبيب بن مسلمة إلى أرجيش عدة حملات وإلى المناطق المجاورة لها ، ودان له أمراء أخلاط ، وسلمت له مدينة أرجيش ، ودانت له جميع المدن التي تقع على بحيرة أرجيش^(٦)

وما كاد حبيب ينتهي من مناطق جبال القوقاز حتي علم بأن مدينة دبيل . عاصمة أرمنية . قد شقت عصا الطاعة وساندتها ببيزنطة بالمال والعتاد ، فجرد إليها حملة عسكرية كبيرة علي وجه السرعة ، وعلي ما يبدو أن البيزنطيين قد تخلوا عن الأرمن في الوقت الحرج ، مما جعلهم يسارعون في طلب التصالح مع المسلمين ، فحينما علم بطريقها^(٧) بقدوم هذه الحملة أسرع إلي حبيب بن مسلمة خوفاً على نفسه وبلادها - مدعناً بالطاعة طالبا الصلح ف عقد له حبيب صلحاً نص على :

١- يمنح أهل دبيل الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم .

(٤) الخزر : أمه تركية تعتبر أكثر حضارة من الأمم التركية التي قامت في العصور الوسطى ، وتقع دولة الخزر في إقليم يقع بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا شمال جبال القوقاز وبحر أزوف ، وكانت عاصمة الخزر هي إتيل أو البلنجر في دلتا نهر الفولجا ، وبدأ هؤلاء الخزر يهددون إقليم الرحاب وبيزنطة وفارس منذ مطلع القرن السابع الميلادي ، وكثيراً ما كان يحدث التقارب بين الخزر وبيزنطة مع وجود متغيرات الأحداث ، والصراع مع الدولة الإسلامية ، وكثيراً ما كان يتحالف الخزر مع بيزنطة ضد الدولة الإسلامية - انظر ابن نباتة : سرح العيون - ص ٤٠ ؛ اليافعي : مرآة الجنان - ص ٨٢ ؛ البغدادي : تاريخ بغداد - ج ٢ - ص ٢٢ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان - ص ٢٠٤ ؛ ابن أعثم : الفتوح - ج ٢ - ص ١١٦ ؛ الحيدرابادي : المرجع السابق - ج ٤ - ص ٢٦٠ ؛ عبد الوهاب النجار : تاريخ الإسلام - ص ٢٧٤ .

(٦) البلاذري : فتوح البلدان - ص ٢٠٤ ؛ ابن أعثم : المصدر السابق - ج ٢ - ص ١٦ ؛ مروان المدور : المرجع السابق - ص ١٩٩ ؛ عبد الوهاب النجار : المرجع السابق - ص ٢٧٤ .

(٧) البطريق : وهو القائد من قواد الجيش ويكون تحت أمرته عشرة آلاف مقاتل - الخوارزمي - مفاتيح العلوم - ص ٧٨ .

٢- يسمح لهم بحرية العبادة .

٣- تفرض عليهم الجزية مقابل ذلك ^(١) .

وبعد استقرار الأوضاع في ديبيل انتقل حبيب إلى مدينة النشوي ، ^(٢) وعقد لهم صلحاً مثل صلح ديبيل ^(٣)

ثم إن حبيب عرج شمالاً باتجاه شمال القوقاز ، من أجل إحكام السيطرة الإسلامية علي تلك المناطق ، وعلي ما يبدو أن سكان تلك المناطق قد شعروا بمدي قوة الدولة الإسلامية وخشوا بأسها فسارعوا إلي تقديم فروض الولاء والطاعة فقدم علي حبيببن مسلمة قائد البسفرجان ، ^(٤) فصالحه علي جميع بلاده علي قدر من المال ^(٥) يؤدونه سنوياً ، ^(٦) ثم انتقل حبيب نحو الشيشجان الذين طلبوا الصلح علي مال يؤدونه ، ثم انتقل إلي جرزان ^(٧) حيث كان جموع القوقازيين قد وقفت علي أهبة الإستعداد لأخذ القوات الإسلامية علي حين غرة ، فعند منطقة ذات اللجم ^(٨) مالت القوات الإسلامية

^(١) البلاذري : فتوح البلدان - ص ٢٠٤ ؛ ابن أعثم : الفتوح - ج٢ - ص ١١٦ ؛ الحيدربادي : المرجع السابق - ج٤ - ص ٢٦٠ ؛ عبد الوهاب النجار : تاريخ الإسلام - ص ٢٧٤ .

^(٢) النشوي : مدينة بأذربيجان وتسمي أيضاً فنجوان كانت قد بناها كسري أنوشروان انظر : ابن حوقل : صورة الأرض - ج٢ - ص ٣٤٢ ؛ المؤيد : تقويم البلدان - ص ٣٨٧ ؛ ابن الفقيه :- مختصر البلدان - ص ٢٨٨ .

^(٣) البلاذري : فتوح - ص ٢٠٣ ؛ ابن الأثير :- الكامل - ج٢ - ص ٤٧٧ .

^(٤) البسفرجان هي منطقة كبيرة وعاصمتها هي النشوي . الحموي : - معجم - ج١ - ص ٢٠٤ ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع - ج١ - ص ٧٣ ؛ ابن الفقيه : المصدر السابق - ص ٢٨٨ .

^(٥) لم تذكر المصادر سواء العربية أو الأجنبية قيمة هذه الأموال أو الجزية التي فرضت علي أهل البسفرجان .

^(٦) البلاذري : فتوح البلدان - ص ٢٠٤ ؛ ابن الأثير : الكامل - ج٢ - ص ٤٧٧ - ٤٧٨ ؛ دحلان : المرجع السابق - ج١ - ص ١١٩ .

^(٧) جرزن : منطقة واسعة في الإقليم عاصمتها تفليس وكان فتحها علي يد حبيب - انظر . الحموي :- معجم - ج٣ - ص ٨٣ ؛ معجم ما استعجم - ج٢ - ص ٣٧٦ .

^(٨) ذات اللجم سميت هذه المنطقة بهذا الاسم نسبة إلي الأحداث التي وقعت في هذه المعركة . البلاذري : فتوح البلدان - ص ٢٠٤ .

غالي الدعة والراحة وسرح الجيش بعض خيوله ودوابه وجمعوا لجامها ، فخرج عليهم أهل القوقاز ففجأوهم وأخذوهم على غرة وأخذوا تلك اللجم وحملوا معهم ما قدروا عليه من الغنائم والأسلاب والدواب ، غير أن المسلمين جمعوا شتات أمرهم وكروا عليهم واستردوا ما أخذوا منهم ، وأوقعوا بهم الهزيمة ، ومنذ ذلك الوقت ويسمى هذا الموضوع ذات اللجم ^(٩) .

وعلي ما يبدو أن القوقازيين قد ندموا علي ماكان منهم ، فأسرعوا إلي تقديم فروض الولاء والطاعة للمسلمين فقد جاء بطريق جرزان وجوه أهلها إلي حبيب بن مسلمة يسألونه الصلح ^(١٠) فكتب لهم عقد أمان و صلح نص على :

١- أن يمنحوا الأمان على أموالهم وكنائسهم وأنفسهم وشرائعهم .

٢- أن يدفعوا الجزية ديناراً على الفرد البالغ العاقل القادر .

٣- أرسل معهم أحد الفقهاء لكي يعلمهم شرائع الإسلام ^(١١)

وإذا كان حبيب بن مسلمة قد فرض السيطرة الإسلامية علي مناطق شمال القوقاز فإن جنوب القوقاز وتحديدا أرمينية قد عادت من جديد إلي الثورة وخلع الطاعة الإسلامية ، وللحقيقة أنه لم يكن للأرمن أن تتكرر ثوراتهم علي هذا النحو وفي فترات متقاربة لولا المساعدة التي كانت تتلقاها دائما من الخزر وبيزنطة ، ففي الوقت الذي كانت القوات الإسلامية تحكم سيطرتها علي مناطق القوقاز الشمالية إذا بالأخبار تأتي إلي حبيب

(٩) البلاذري : نفس المصدر - ص ٢٠٤ ؛ الطبري :- المصدر السابق - ج٤ - ص ٢٦٣ ؛ دحلان : المرجع السابق ج١ - ص ١١٩ .

(١٠) الطبري : المصدر السابق - ج٤ - ص ٢٦٣ ؛ الخصري : المرجع السابق - ج١ - ص ٣٦٩ دحلان : المرجع السابق - ج١ - ص ١١٩ .

Hitti :- Ahistory of Arab. P. 176 .

(١١) الديار بكري : تاريخ الخميس - ج١ - ص ٢٥٥ ، الطبري : المصدر السابق - ج٤ - ص

٨١ ؛ الياضي : مرآة الجنان - ج١ - ص ٨٢ ؛ تاريخ طائفة الأرمن - ص ١٦٦ .

الحموي : معجم البلدان - ج٢ - ص ١٢٤ ؛ الحيدر ابادي : المرجع السابق - ج٤ - ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ؛ دار المعارف الإسلامية - ج٢ - ص ٦٤٤ .

بأن بطريق أرمينية قد جمع جموعاً كثيرة من الأرمن وحلفائهم الخزر وسكان القوقاز وجيش بيزنطي مكون من ثمانين ألفاً من الجنود ، وأن هذه القوات تتحضر لمناجزة المسلمين (١)

وفي بداية الأمر قدر حبيب أن القوات الإسلامية في قلّة وأن حشود الأرمن وحلفائهم تفوقه عدداً وعدة فقرر أن يكتب إلي عثمان بن عفان وأن يستمدّه بجيش آخر لمواجهة هذه الحشود الكبيرة ، فأرسل عثمان بن عفان إلي الوليد بن عقبة بن أبي معيط والي الكوفة أن ينتخب من أهل الكوفة عشرة آلاف فارس ويبعث بهم إلي حبيب بن مسلمة وأن يجعل عليهم سلمان بن ربيعة الباهلي معونة لأهل الشام على عدوهم ، وما أن ورد كتاب عثمان إلي الوليد إلا وقام في الناس خطيباً وحثهم على الجهاد في سبيل الله وأن يشخصوا تحت إمرة سلمان بن ربيعة الباهلي ، فخرج سلمان بمن معه إلي حبيب بن مسلمة (٢)

، وعلي ما يبدو أن حبيب بن مسلمة وجد في جيش الأرمن نقطة ضعف فأراد أن يستغلها فشن هجوماً مباغتاً على هؤلاء المتجمعين من الأرمن والخزر والبيزنطيين وأهل القوقاز ، وأخذهم علي حين غرة ، وأوقع بينهم الهرج والمرج ، وركبوا أكتافهم ، واستطاع ومن معه أن يوقع بهم الهزيمة النكراء ، واقتسموا الغنائم فيما بينهم (٣) فلما أتى سلمان بمن معه من أهل العراق وجدوا أهل الشام قد فراغوا من المعركة وقسموا الغنائم بينهم ، فطالب سلمان أن يشتركوا معهم في الغنائم فرفض حبيب وأهل

(١) ابن الشحنة : تاريخ حلب - ص ١٩٨ ؛ عطية الله : حواريات الإسلام - ص ٣٤ ؛ النجار : المرجع السابق - ص ٢٧٥ .

(٢) ابن أعثم : الفتوح - ج ١ - ص ١٢٢ ؛ البلاذري : فتوح البلدان - ص ١٤٨ - ١٤٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان - ج ١ - ص ٣٩٧ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي - ج ٢ - القاهرة - المطبعة الحجازية - ص ٧٧ .

(٣) الواقدي : فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان - ص ١٤١ ؛ ابن الدم الحموي : التاريخ الإسلامي - الجزء الأول - تحقيق حامد زيان - القاهرة - دار الثقافة للطباعة - ص ١٥٧ ؛ أحمد عطية الله : المرجع السابق - ص ٢٨ .

الشام فوق الكلام بينهم^(٤) فأرسل حبيب إلي عثمان يستشيريه فأشار عليه باقتسام الغنائم بينهم وبين أهل العراق^(٥) .

وقد نجحت هذه الحملة نجاحاً كبيراً وتحققت منها مكاسب كثيرة ، أهمها أن القوقاز الجنوبي قد نالت استقراراً كبيراً تجلي ذلك في قيام الأشعث بن قيس بعمل له أهميته الكبيرة ، حيث ذكر البلاذري (١) أنه قام بإسكان مدينة أربيل أناساً من العرب المسلمين وأمرهم بدعوة الناس للإسلام .

وهذا العمل له أهميته من الوجهة السياسية والعسكرية ، إذ أن استيطان العرب القوقاز الجنوبي يعني تأمين المكاسب السياسية للدولة الإسلامية ضد محاولات التمرد من سكان المدينة والمناطق المجاورة لها ، ومما لا شك فيه أن هؤلاء السكان الجدد - في حالات الطوارئ - سيكونون مستودعاً لمد الجيوش الإسلامية بما يحتاجونه من جنود . ومن الوجهة العقدية يكتسب أهميته من أن الهدف الأساسي هو دعوة الناس للإسلام عن طريق الاتصال المباشر والمعاينة المنفتحة .

وتعتبر هذه الخطوة تغييراً في مجري العلاقات بين الدولة الإسلامية وبين سكان القوقاز لأن الدولة الإسلامية لم تعد تخاطب القوقاز من خلال ممثل سياسي لها قد يكون من مصلحته حجب الرغبة الحقيقية لسكانها عن الدولة الإسلامية ، بل عمدت إلي الاتصال المباشر بالسكان لا على المستوى السياسي أو الرسمي بل عن طريق القاعدة العريضة وأغلبية الناس .

(٤) ابن أعثم : المصدر السابق - ج ٢ - ص ١٢٢ ؛ البلاذري : فتوح البلدان - ص ١٤٨ - ١٤٩

؛ الحموي : معجم البلدان - ج ١ - ص ٣٩٧ ؛ ابن الدم : تاريخ الإسلام - ج ١ - ص ١٥٧ .

(٥) انظر : البلاذري : فتوح البلدان - ص ٤٨ - ١٤٩ ؛ ابن أعثم الكوفي : الفتوح - ج ٢ - ص

١٢٢ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان - ج ٢ - ص ٣٩٧ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام

السياسي - ج ١ - ص ٢٧٧ .

(١) فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ .

البيلقان^(٢) واستولي عليها وفرض عليها الإقرار بصغار الجزية ، ثم واصل سيره نحو مدينة بردغة^(٣) وخاض على أبوابها معركة حامية بعد أن استعصت عليه فحارب عليها الحصار إلى أن اضطرها إلى الإقرار بالجزية السنوية ، ثم انتقل إلى القلاع والحصون الواقعة في جبال

القوقاز^(١) وألزمهم الدخول في طاعة الدولة الإسلامية وأعاد فرض الجزية على هذه المناطق ، ومن ثم عاد سلمان إلى أذربيجان بجيشه بعد تحقيق هدفه^(٢) . وبالرغم من أن المصادر لم تذكر لنا سبب القيام بهذه الحملة على مناطق الجبال ، ولكن من المرجح أن هذه الحملة جاءت نتيجة إما نشاط عسكري لهذه المناطق يناوئ

(٢) البيلقان : تقع إلى الشمال من أذربيجان وهي من بناء بيلقان بن أرمني بن لنطي ، وأعيد بناؤها في عهد الملك الفارس قباز ، عن ذلك انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج ١ ، ص ٤١٩ ، لي استرنج ، بلدان الخلافة الشرفية ، ص ٢١٢ .

(٣) بردغة : إلى الشمال من أذربيجان وكانت قديما تدعى برزدار ، وهي من بناء الملك الفارسي قباز ، عن ذلك انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج ١ ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢ ؛ البغدادي ، مرصد الإطّلاع ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

(١) دأب الجغرافيون والمؤرخون العرب الأوائل على تسمية مجموعة الحصون والقلاع الواقعة في جبال القوقاز على أنها مدن وتسمية حكمائها بالملوك ، مع أنها حصون أو قلاع صغيرة أمثال قلعة الشابران واللكز وفيلان وطبرسران ، وشروان وشهبوش ، عن ذلك انظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ط بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ١٦٨ ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٦ ؛ ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ج ٢ ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، مج ١ ، ص ١٩٧ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٦٨ ، ابن أعثم الكوفي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٤ ، عبد الباسط فاضل ، تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام ، ط بيروت ، ص ٤١ .

الحكم الإسلامي أو أنها قد نقضت عهودها السابقة مع الدولة الإسلامية ، وهذا هو الأرجح ، لأن هذه المناطق كانت أقرت سابقاً بالحكم الإسلامي لها مقابل الجزية السنوية وأن هذه المناطق اسماً تعتبر خاضعة للدولة الإسلامية ولكن رسمياً وعسكرياً هي خارج نطاق هذه السيطرة لأن حكم المسلمين لها لم يكن مباشراً و دائماً ما يرتضون منهم دفع الجزية السنوية وهذا الوضع سوف يؤثر على المسلمين لاحقاً .

❖ موقعة بلنجر :

بعد هذه الانتصارات المتلاحقة التي حققها المسلمون مع خصومهم على الجبهة العسكرية سواء مع الخزر أو سكان القوقاز أو الأرمن أو تحالفهم جميعاً ، بدأ المسلمون يفكرون جدياً في إحياء فكرة غزو بلاد الخزر والتي كانت قد تعطلت لوفاة عمر بن الخطاب ، ففي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ م فصدت الأوامر لصاحب الفكرة عبد الرحمن بن ربيعة بغزو بلاد الخزر ، فتقدم بالجيش وعبر جبال القوقاز إلى مدينة باب الأبواب ، وعلى الجبهة الأخرى حيث استعد الخزر لهذه الموقعة أتم استعداد ، وما أن وصل عبد الرحمن مدينة البلنجر وجد نفسه أمام جموع هائلة لا قبل له بها واستعداداً حربياً يفوقه عدداً وعدة ، ومع ذلك التحم معهم في معركة فاصلة تمخضت عن هزيمة جيش الخلافة ومقتل عدد كبير من المسلمين ^(١) وفرار قلة قليلة منهم إلى مدن شمال القوقاز وجيلان وجرجان بل ومقتل قائد الجيش عبد الرحمن بن ربيعة ^(٢) .

(١) اشترك في هذه الحملة عدد كبير من الصحابة والصالحين أمثال سلمان الفارسي وأبو هريرة ويزيد بن معاوية النخعي ، ومعضد الشيباني وعمرو بن عتبة ، وأظهر هؤلاء الصحابة في المعركة دروباً من الشجاعة والإقدام ، واستشهد عدد كبير منهم في هذه المعركة ودفن بعضهم بالقرب من مدينة البلنجر . عن تفاصيل ذلك انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٦٢٧ - ٦٢٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١٣١ - ١٣٣ ، محمد رشيد ، الفاروق عمر ، ص ٣١٢ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٧ - ٦٢٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١٣١ - ١٣٣ ؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ص ٢٧٧ .

وبقراءة سريعة في خلفية وأسباب هزيمة البلنجر نذكر أن الطبري (٣) وابن الأثير (٤) قد ذكرا لنا سبباً للهزيمة في هذه الموقعة ، وتمثل في تبدل أحوال الناس في عهد عثمان بن عفان بما أصابهم من البطر ولاستعماله من كان قد ارتد - يقصد الأشعث بن قيس - استصلاحاً لهم فلم يصلحهم ذلك ، ولكن هناك عوامل وأسباب أخرى نري أنها كانت وراء هذه الهزيمة فكانت حملات المسلمين الأولى قبيل عهد عثمان بن عفان بمثابة حملات استطلاعية لمعرفة طبيعة وجغرافيا المنطقة وليس فتحاً منظماً ، الهدف منه إخضاع المنطقة خضوعاً كاملاً ، وإن كانوا يرتضون من حكام هذه المناطق - خاصة الخزر والقوقاز - بالجزية ويتركون حكم تلك المناطق لحكام محليين ، كما أن الجيوش الإسلامية كانت سرعان ما تعود إلى مراكزها الرئيسية سواء أكان في أذربيجان أو الكوفة ، وكان لقلة عدد جنود المسلمين في مواجهة خصومهم لا سيما في مواجهة جحافل الخزر دور ، إذ أن أعداد المسلمين دائماً ما كانت قليلة في مواجهة الخزر معتمدين في ذلك على شجاعتهم وحماستهم الدينية ، كما أن تنائي أطراف البلاد المفتوحة وبعدها عن مستودع القوة والإمداد كالكوفة والبصرة والشام ، أضف إلى ذلك ظهور نوع جديد من المقاومة تمثل في تحالف الخزر مع الأرمن والقوقاز وفي بعض الأحيان مع البيزنطيين ، ذلك بخلاف طبيعة المنطقة الجبلية والطقس القارص الذي لم يعتد عليه المسلمون ، وهناك سبب شخصي يعود إلى طبيعة عبد الرحمن بن ربيعة الذي تغلب عليه الحماسة أحياناً بحثاً عن نشر الإسلام انطلاقاً من ثوابت دينية وهذا ما جعله لا يأخذ بنصيحة شهربراز حاكم مدينة باب الأبواب من ذي قبل ، وعثمان بن عفان الذي حذره من الإقبال على هذه الخطوة لتغيير أحوال الناس وانتقالهم إلى التمتع

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ - ٥٤٣ .

(٤) الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٩ - ٣٠ .

بالتترف والميزات ^(١) ونري أن هذه العوامل كانت سبباً في وقوع مثل هذه الهزيمة وما يترتب على ذلك من حدوث حالة من الاختزال والانكماش في المد الإسلامي نحو بلاد القوقاز .

وحيثما علم عثمان بذلك حزن حزناً شديداً على ما جري لجيش المسلمين ، واستشعر الخطر المحدق بالمسلمين في بلاد القوقاز فكتب إلي حبيب بن مسلمة يأمره بالمسير إلي بلاد الخزر ، فاجتمع إليه ستة آلاف جندي وسار بهم ، وكان الخزر قد استغلوا انتصارهم علي المسلمين وفرار قلولهم واستولوا على مدينة أخلاط ، فاتجه حبيب إليها ومن معه وأخرجهم منها واستولي عليها بعد حصار دام أياماً ؛ ^(١) وقتل من كان بها من الحامية الخزرية ، واستخلف عليها بعض قادته ثم انتقل منها ^(٢) إلي جرجان شمال الإقليم ، واستعاد السيطرة عليها ، ^(٣) ثم جدد عقد الصلح مع الأرمن على :
١- أن تعترف الدولة الإسلامية باستقلال أرمينية .

٢- أن يدعن سكان الإقليم للسيطرة الإسلامية عليهم بالشروط التي سبق فرضها على الفرس .

٣- أن يعين العرب حاكماً محلياً من الأرمن على أرمينية .

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص ٦٢٧ - ٦٢٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص ١٣١ - ١٣٣ ؛ دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٢٨ .

الواقدي : فتوح الإسلام لبلاد العجم - ص ١٤٣ ؛ ابن الأثير : الكامل - ج٤ - ص ١٠ ؛ الحموي : معجم - ج٢ - ص ١٢٣ .

(١) ابن أعثم : المصدر السابق - ج٢ - ص ١١٢ - ١١٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ - ج٢ - ص ٥٨٥ ؛

Issavardin : Armenia. P. 189' Muir : the caliph at . P. 203 .

(٢) ابن أعثم : الفتوح - ج٢ - ص ١١٢ - ١١٣ ؛ ابن العربي : العواصم - ص ٢٤٤ .

(٣) ابن أعثم : المصدر السابق - ج٢ - ص ١١٣ ؛ الطبري : المصدر السابق - ج٤ - ص ٢٩٢ ؛ خليفة بن خياط : المصدر السابق - ص ١٦٣ ؛ ابن الأثير : الكامل - ج٣ - ص ٢٥ .

٤- تجهز أرمينية وحدة من فرسانها وتضعها تحت تصرف المسلمين لتحارب معهم ، وكانت وحدة الأرمن تتكون من ١٥ ألف مقاتل على ألا يذهبوا للقتال في الشام .

٥- أن يدفع الإقليم ثمانية آلاف درهم سنوياً^(٤) .

وبعد نجاح حبيب بن مسلمة من فرض سيطرة المسلمين على القوقاز مرة ثانية ، عزله عثمان بن عفان عن الإقليم^(١) وولي عليه الأشعث بن قيس^(٢) .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان - ص ١٣٨ ؛ الحموي : معجم البلدان - ج٢ - ص ١٢ ؛ ابن الأثير : الكامل - ج٣ - ص ٢٦ - ٢٧ ؛ سعيد بن طريق :- التاريخ المجموع - ص ٣٣ ؛ الطبري : المصدر السابق - ج٤ - ص ٢٩٢ .

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١١٤ ؛ ابن العربي : العواصم - ص ٢٤٤ ؛ خليفة بن خياط : المصدر السابق - ص ١٧٨ .

Hitti : Ahistory of Syria . P. 429 .

Hitti : Ahistory of Arab . P. 176 .

اليافعي : مرأة الجنان - ج١ - ص ١٧٦ .

(٢) الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن الحارث بن ربيعة بن معاوية بن الحارث ، وسمي الأشعث نظراً لشعث في رأسه ، ووفد الأشعث بن قيس على النبي ﷺ سنة عشرة للهجرة في وفد كندة وكانوا ستين رجلاً فأسلموا ورجعوا إلى اليمن ، وكان ممن ارتد بعد وفاة النبي ﷺ فبيعت أبو بكر الجنود إلى اليمن لمحاربتهم فأسروه وحضروه بين يدي أبي بكر فأسلم أمامه ، وقال له الأشعث بن قيس :- استبقني لحرك وزوجني أختك فأطلق سراحه وزوجه أخته وهي أم محمد بن الأشعث ، وشهد اليربوك والقادسية وجلولاء ونهاوند وأبلي في هذه المعركة بلاءاً حسناً ، وجاهد في الله حق جهاده ، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب ، وشهد الحكمين يوم دومة الجندل ، وولي لعثمان عدة ولايات منها إقليم القوقاز . أرمينية وأذربيجان وأران . وكان الحسن ابن علي رضي الله عنه قد تزوج ابنة الأشعث بن قيس ، وروي الأشعث بن قيس الكندي عن رسول الله ﷺ حديثين اتفق البخاري ومسلم على إحداهما ، ونزل الكوفة وأقام بها ومات بعد علي بن أبي طالب بأربعين يوماً - عن الأشعث بن قيس انظر : السيوطي : الوسائل في معرفة الأوائل - ص ١٠٤ ؛ الأصفهاني : مقاتل الطالبين - تحقيق أحمد السيد صقر - القاهرة - مطبعة دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م - ص ٣٣ ؛ البلخي : مناقب الإمام علي والحسن والحسين - ص ١٠٣ - ١٠٤ ؛ الأمدى

وعادت أذربيجان مع بداية حكم الأشعث بن قيس إلى الانتفاض وإعلان الثورة على الدولة الإسلامية وساندها في ذلك الخزر غير أن سعيد بن العاص استطاع أن يوقع بهذه الجموع الهزيمة النكراء^(٣) .

- المؤلف والمختلف - القاهرة - مطبعة القدس - ص ٤٥ ؛ العسقلاني : تهذيب التهذيب - الجزء الأول - الطبعة الأولى - حيدر آباد الدكن - مطبعة دار المعارف - ١٣٢٦ هـ - ص ٣٥٩ ؛ القرطبي : الأنباه على قبائل الرواة - ص ٦٦ ؛ النووي : تهذيب الأسماء - ص ١٦٠ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس - ج ٢ - ص ٢٨٩ ؛ البلخي : البدء والتاريخ - ج ٥ - ص ١٠٩ .
(٣) خليفة بن خياط : تاريخ . ص ١٦٣ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام - ج ٢ - ص ١٩٧ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب - الجزء الأول - بيروت - بدون بيانات - ص ٣٦ .

Muir : the caliphate. P. 203.

- سعيد بن العاص بن أمية ولد عام الهجرة ، وقيل بل سنة أحد ، وقتل أبوه العاص بن سعيد يوم بدر كافراً قتله على بن أبي طالب ، وكان أحد أشرف قريش ، جمع بين السخاء والفصاحة ، وهو أحد الذين كتب المصحف لعثمان ، واستعمله على الكوفة وغز بالناس طبرستان فافتتحها ، ويقال أيضاً أنه افتتح جرجان في زمن عثمان سنة ٢٩ هـ ، وقال أبو عبيدة : لما انتفضت أذربيجان غزاها سعيد بن العاص فافتتحها ثم عز له عثمان وولي الوليد بن عقبة ، ثم شكا الناس الوليد بن عقبة فقام بعزته وولي سعيد بن العاص ، غير أن أهل الكوفة ربوه مرة ثانية ، وكان سعيد يتصف بشدة السلطان وكان ذلك في سنة ٣٤ هـ ، ولما قتل عثمان لزم سعيد بيته واعتزل يوم الجمل وصفين ، ولما ولي معاوية واستوثق له الأمر ولاه المدينة ، ثم عزه وولاه مروان بن الحكم ، وكان يعاقب بينه وبين مروان ، وفيه يقول الفرزدق :-

تري الجحاح من قريش إذا ما الأمر في الحديث علا .

قياماً ينظرون إلي سعيد كأنهم يرون به هلالاً .

- وقال سفيان بن عيينه :- كان سعيد بن العاص كريماً وتوفى في خلافة معاوية سنة ٥٩ هـ .
من أقوال سعيد المشهورة :- أن القلوب تتغير فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحاً اليوم عائلاً غداً ؛ لا تمازج الشريف فيحقد عليك ولا تمازج الدنيئ فتهون عليه - موطنان الاعتذار من العي فيهما إذا خاطبت جاهلاً أو طلبت حاجة لنفسي .

بن عبد البر : الاستيعاب - ج ٢ - ص ٩ ؛ العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة - ج ٢ - ص ٤٢ .

وفي عام ٢٩هـ - ٦٤٩م وعقد في دبيل مجمع ديني يهدف إلى إعادة أرمينية إلى حظيرة الكنائس البيزنطية ، (٣) ورفض الأرمن هذه المحاولة وتمسكوا بمذهبهم اليعقوبي المونوفستي (٤) مما أغضب الإمبراطور البيزنطي وعزل تيودور الرشتوني عن الإقليم - بالرغم من أنه عين من قبل العرب - وعين عليها سمباط البجراطي واشتركا معا في حملة على القوات الإسلامية ، غير أن معاوية بن أبي سفيان استطاع أن يوقع بهم الهزيمة النكراء ، وعقد الصلح بين معاوية والأرمن نص على :

- ١- عدم فرض الجزية على الأرمن مدة ثلاث سنوات .
 - ٢- أن يقدم الأرمن ما يقدرون عليه للدولة الإسلامية من أموال خلال فترة الاتفاق .
يجهز الأرمن قوة من الفرسان قوامها ١٥ ألف فارس يساعدون الدولة الإسلامية في حروبها على أن لا يذهبوا للقتال في الشام أو داخل الدولة الإسلامية .
 - ٣- يعين على أرمينية وأران حاكماً محلياً .
 - ٤- لا يأوي الأرمن في بلادهم عدوا للمسلمين ولا يساعده .
 - ٥- يتعهد المسلمون بمساعدة أهل الإقليم ضد أعدائهم لاسيما بيزنطة (٥) .
- من صيغة هذا الاتفاق يبدو أن معاوية بن أبي سفيان أراد أن يستغل الشقاق بين أرمينية وبيزنطة ، يل يزيد من شقة الاختلاف بينهما ، فأعطى الإقليم تسهيلات كبيرة

(٣) تاريخ طائفة الأرمن - ص ١٦٥ ؛ مروان المدور : المرجع السابق - ص ١٩٨ ؛ صابر دياب : أرمينية - ص ٣٥ - ٣٦ ؛ الهامي : التوقيعات الإلهامية ص ١٧ .

(٤) فؤاد حسن حافظ : المرجع السابق - ص ٩٤ ؛ تاريخ طائفة الأرمن - ص ١٦٥ مروان المدور : المرجع السابق - ص ١٩٨ ؛ صابر محمد : المرجع السابق - ص ٣٥ - ٣٦ .

Issavardin : op. cit . P. 189 .

(٥) تاريخ الأرمن - ص ١٦٥ ، المدور : المرجع السابق - ص ١٩٨ ؛ فؤاد حسن حافظ : المرجع السابق - ص ٩٤ .

Issavardin : op. cit . P. 189 - 190.

من قبيل إعفائهم من دفع الجزية ثلاث سنوات ولا يعين عليهم حاكم مسلم بل محلي ،
والأكثر من ذلك هو تعهد معاوية الدفاع عن الأرمن ضد بيزنطة مما يدل على مدي
الخلاف بين أرمينية وبيزنطة ، وأسرع الأرمن إلى قبول هذا الصلح لما فيه من تنازلات
لهم ولخوفهم من بيزنطة وعدم الاطمئنان لها ، وضماناً لجديتهم في تنفيذ الاتفاق
وعدم نقضه كما كان عهدهم أرسلوا الأميران سمباط البجراطي وجريجور الأول ما
ميكونيان كرهينتين إلى معاوية بن أبي سفيان وعين تيودور الرشتوني حاكماً على
أرمينية ^(٦) .

وأثار هذا الاتفاق حفيظة بيزنطة مما جعل الإمبراطور البيزنطي يجرّد حملة
عسكرية إلى الإقليم دون أن يأبه بتحذيرات معاوية بن أبي سفيان أن الإقليم إنما هو
تحت الحكم العربي ، وأرسل جيشاً دخل دبل واستولي عليها ، وعزل تيودور الرشتوني
وولي عليها القائد موشيل ماميكونيان ، وهدد الأمراء الأرمن فاذعنوا له وأعلنوا الطاعة
^(١) عدا تيودور الرشتوني الذي ظل على ولائه للعرب وهرب إلى بحيرة وان وأيده في
ذلك حكام أران والشيشجان والبلاشجان ، ^(٢) وظنوا على ولائهم للعرب واستطاعوا
باتحادهم ومهارة تيودور الرشتوني من إعادة سيطرة العرب على الإقليم مرة ثانية بعد
هزيمة الحامية البيزنطية عند أرزن ^(٣)

(٦) صابر محمد دياب : المرجع السابق - ص ٣٧ ؛

grousset : op. cit . P. 133- 134' Issavardin : op. cit . P. 188.

(١) ابن الدم الحموي : التاريخ الإسلامي - ج١ - ص ١٦١ ؛ العريني : الدولة البيزنطية - ص
١٢٧ ؛ صابر دياب : المرجع السابق - ص ٣٥ .

grousset : op. cit . P134.

(٢) ابن الدم الحموي : المصدر السابق - ج١ - ص ١٢٧ ؛ العريني : المرجع السابق - ص ١٢٧ ؛
صابر دياب : المرجع السابق - ص ٣٦ .

grousset : op. cit . P. 134

(٣) ابن الدم الحموي : التاريخ الإسلامي - ج١ - ص ١٦١ ؛ العريني : الدولة البيزنطية - ص
١٢٧ ؛ إبراهيم العدوي : الأمويون والبيزنطيون - ص ١١٦ ؛ لي استارجيان : تاريخ الأمة الأرمنية